المصدر: اكتوبر
التاريخ : ١٩٩٨/١٢/٢٠

السادات وجامع في جلسة ودية خاصة بعيدا عن السياسة والرسميات.

د. «محمود جامع» يتذكر :

سنوات مع «السادات»!

أنور السادات.. شخصية لا تنسى ولا تتكرر بسهولة برأى الذين أحبوه وأيضا برأى من عارضوه أو اختلفوا معه.

هذا الثراء فى شخصية «السادات» يتفق الجميع عليه.. ويرجعونه لأسباب مختلفة أبرزها خبرته الواسعة التى استمدها من احترافه للعمل السياسى منذ سنوات شبابه المبكر.. ثم قدرته الكبيرة على التكيف مع كل الظروف.. والتعامل مع كل الطوائف من قاع المجتمع المصرى إلى أشهر نجوم الإعلام والسياسة فى العالم كله!

وينعكس هذا الثراء أيضا فى تميزه فى مجالات كثيرة. فهو عاشق للسياسة وللفن وللتاريخ وللصحافة. وقبل كل شىء يبدو ارتباطه بقريته «ميت أبو الكوم» وبحياة الفلاح البسيطة اختيارا حقيقيا وليس وسيلة دعائية كما يحلو للبعض أن يدعى ذلك.

تستطيع أن تقول (دون أى خطأ) إن شخصية الفلاح هى التى تبرز إذا أردت أن تفهم حقيقة «السادات» وتصرفاته. فقد كان فيه من صبر الفلاحين وحكمتهم ما لا يمكن الجدل حوله. وكان له من مكرهم وخبثهم ودهائهم الشىء الكثير!

والمألوف فى الكتب والدراسات التى تناولت حياة السادات (أو حياة معظم زعمائنا قديما وحديثا) أن يتم التركيز على جانب الإيجابيات وحدها أو السلبيات فقط. وكأن الزعيم (أى زعيم) لا يصح أن يوضع إلا فى خانة الشياطين أو الملائكة ولا وسط بينهما. بينما يتعامل الكتاب الغربيون مع زعمائهم بموضوعية أكبر، ويبرزون جوانب شخصيتهم «البشرية» بكل ما فيها من قوة أو ضعف، أو صعود أو هبوط.. وبدون مبالغة أو تهوين.

هذا الاتجاه القريب من الموضوعية نجده «متحققا» إلى حد كبير في كتاب «عرفت السادات» للدكتور «محمود جامع» الذي اقترب من الرئيس الراحل قبل وبعد وصوله إلى السلطة. والذي حاول أن يرسم «للسادات» صورة إنسانية واقعية تستند إلى حياته ومواقفه وعلاقاته السياسية والشخصية: كما حاول أن يحكم بحياد على تصرفاته العامة أو الخاصة.

علاقة «د. جامع» - الطبيب الذي يعيش في طنطا - مع أسرة «السادات» قديمة ووثيقة. فقد كانت هناك صلة قرابة بين جدة «السادات» وعائلة «د. جامع». وكان والد السادات يزور دائما قرية د. «جامع» ومعه ابنه «أنور». وهذه القرية تقع على مسافة ثلاثة كيلومترات فقط من قرية «ميت أبو الكوم».

ولكن الصلة الأكبر والأكثر تأثيرا بين «د. جامع» و«السادات» أخذت أبعادا أخرى مع اتجاه الاثنين للعمل السياسي. فقد كان «د. جامع» عضوا في التنظيم السري للإخوان المسلمين ثم خرج منه. ومع ذلك لم تنقطع صلته بكوادر الإخوان وقادتهم. وفي فترة من الفترات لعب «د. جامع» - كما ذكر في الكتاب - دورا مهما في الاتصالات بين الإخوان و«السادات» عندما كان نائبا للرئيس.. ثم بعد أن تولى السلطة.

مغامرات سياسية

وقبل أن نناقش تفصيلات الأحداث التي تعرض لها «د. جامع» لابد أن نتوقف طويلا عند ملامح شخصية «السادات» كما رسمها في كتابه.

هـى أولا يتفـق مـع القـائلين بـأن «السادات» صاحب أكبر خبرة وتجربة من بين كل أعضـاء مجلـس قيـادة الثـورة. وارتبطت هذه التجربة بمغامرات سياسية عجيبة منها- مثلا- اشتراكه فى الإعداد لرحلة هروب فاشلة يقوم بـها الفريـق «عزيز المصرى» للسفر إلى «رشيد عـالى الكيلانى» فى العراق. وهدف هذه الرحلـة القيام بثورة من العراق ضد الإنجليز والملـك والقصر!

ويؤكد «د. جامع» أن أول خليـة للضباط الأحـرار تشكلت داخـل الجـهاز السـرى للإخـوان. وكـان المسئول الأول عن خليـة الضباط هو «عبد المنعم عبد الرؤوف». وكان الثـانى هو «أنور السادات». وكان الثالث: «جمال عبد الناصر». وبعد اتـهام «السـادات» فـى قضيـة «أمـين عثمـان» ودخولـه السـجن أصبـح «عبـد النـاصر» الرجل الثانى فى هذه الخلية!

السادات لعب أيضا دورا مهما فى الثـورة والإعداد لحركة الجيش من خـلال علاقتـه بالحرس الحديدى. ووفقا لرواية السـادات للدكتور جامع. فإن علاقتـه بـهذا «الحـرس (صاحب السمعة السيئة) كانت تكتيكا مـن تنظيم الضباط الأحرار لمعرفة أخبار القصر. ونجـح السـادات فى تحذيـر زملائـه مـن مخـاطر متوقعـة. كما قـام بتخليـل أعـداء التنظيم والملـك نفسـه مسـتغلا ثقـة يوسـف رشاد- طبيب الملك الخاص- فى ولائه.

حـدث ذات مـرة أن عـرف السـادات مـن يوسـف رشـاد أن الملـك اكتشـف منشـورا بتوقيع الضباط الأحرار على مكتبـه. فثـار وقـرر تعيـين حسـين سـرى عـامر وزيـرا

للحربية. واختاره بالتحديد لأنه كان يعلم أسماء كل الضباط الأحرار. وكان سينجح بسهولة فى القضاء عليهم.

ولكن السادات نجح فى إفساد هذا التخطيط. فقد أكد على الفور لـ يوسف رشاد أن صاحب المنشور المذكور هو الضابط مصطفى كامل صدقى - عضو الحرس الحديدى. واختار السادات هذا الضابط بالتحديد لأنه يعلم أن يوسف رشاد يكرهه بسبب علاقته بزوجته (..). ولذلك لم يتردد فى إبلاغ الملك تليفونيا بمسئولية غريمه مصطفى صدقى عن المنشور. وبأنه لا داعى لتعيين حسين سرى عامر وزيرا للحربية. واقتنع الملك وأصدر قرارا بتعيين زوج شقيقة الأميرة فايزة وزيرا للحربية.

وعندما علم عبد الناصر من السادات بما حدث اقتنع من ناحيته بخطورة ما يدبر للضباط الأحرار. وبذلك أصبح من الضرورى التعجيل بالثورة التى كان من المقرر أن تتم فى سبتمبر أو ديسمبر عام ١٩٥٢.

مساندة الأصدقاء

عاش السادات إذن حياته بالطول والعرض قبل الثورة. وبسبب نشاطه السياسى. فصل من الجيش. وسجن وهرب من السجن. وعمل حمالا وسائقا ومقاولا. ولم يعش أحد من الضباط الأحرار هذه الحياة التى تقترب من عالم جيمس بوندا!

ويستفاد من شهادة د. جامع عن حياة السادات أنه كان يعرف قيمة أصدقائه ويشعر بالعرفان الشديد لهم. فلولا معرفته بـ يوسف رشاد وزوجته السيدة ناهد لما عاد إلى الجيش مرة أخرى. فهذه السيدة هى التى اتصلت بـ حيدر باشا وادعت أن

الملك هو الذى أمر بإعادته. واستجاب حيدر باشا على الفور ولكنه اشترط أن يجتاز السادات امتحانا جديدا وضعه ثروت عكاشة الأستاذ بالكلية الحربية!

ومرة أخرى تساعد الظروف السادات عندما يتطوع جمال عبد الناصر بالإجابة عن الأسئلة بدلا منه. وبعد النجاح يرقى السادات من مرتبة اليوزباشى إلى الصاغ ثم يرقى بعد ذلك إلى رتبة بكباشى!

واحدى السمات البارزة فى شخصية السادات هى وفاؤه الكبير لكل الذين وقفوا بجانبه فى سنوات الشقاء. وهذا المعنى ذكره الكاتب «محمود السعدنى» الذى قال فى حوار له إنك إذا أسديت لأنور السادات معروفا واحدا فإنه يجتهد أن يرده إليك مضاعفا مهما مرت السنوات. وهذا ما يؤكده أيضا د. جامع.

لقد غضب السادات بشدة ذات يوم لأن السيدة ناهد رشاد لم تتمكن من التحدث إليه تليفونيا كان وقتها يشغل منصب نائب الرئيس. ويعاتبه من أزمة قلبية ألزمته فراشه فى بيت أبو الكوم. وكان السادات قد أرسل صديقه يوسف رشاد للعمل فى السفارة المصرية بالإسكندرية بعد ثورة

وظهر وفاء السادات لأصدقائه فى علاقته مع عبد المنعم عبد الرءوف. فقد وافق أن يعود فورا إلى مصر التى هرب منها فى عهد عبد الناصر. وأرسل السادات رئيس الوزراء فى ذلك الوقت وهو ممدوح سالم لاستقبال وصيله الصائد فى المطار. ثم استقبله بنفسه فى منزله بالجيزة. ووفر له مسكنا وأعطاه مرتب وزير. وعندما مرض عبد المنعم عبد الرءوف» أرسله السادات للعلاج على نفقة الرئاسة.

وكان السادات يردد أمام صديقه د. جامع أنه مدين لشخصين فى حياته: الأول هو

الامام حسن البنا لأنه كان يعطى أسرة السادات عشرة جنيهات شهريا أثناء اعتقال في قضية أمين عثمان.. والثانى هو عبد المنعم عبد الرءوف الذى أعطى السادات مكافأة مماثلة بالتساوى بعد فصله من الجيش..

الرجل الضعيف

أما عن دهاء السادات وذكائه وقدرته على مناورة المواقف الصعبة وتكيفه مع كل الظروف فهناك الكثير من المواقف التى ذكرها د. جامع وتؤكد هذه الصفات المعروفة أو التى أصبحت معرفة للجميع عندما تولى السادات الحكم.

من المسائل الخطيرة - مثلا - صعود السادات حتى النهاية ونجاته من غضب عبد الناصر الذى لم يسلم منه أحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة. وكان منطق السادات كما حكاه للدكتور جامع - بسيطا وواضحا. فقد كان يعرف فى الستينات وما قبلها. وطوال حكم عبد الناصر أن العصر عصر الفرد الواحد والقرار الواحد. ولذلك كان السادات يتصنع الضعف وعدم الخبرة. وكان يدرك أن اعتراضه على أى قرار سيطيح به فورا مثلما حدث من بقية أعضاء مجلس قيادة الثورة.

ويبدو أن هذه الصورة التى رسمها السادات لنفسه هى التى خدعت مراكز القوى بعد وفاة عبد الناصر. ولذلك لم يترددوا فى دعم انتخابه رئيسا للجمهورية مؤقتا حتى تتاح لهم الفرصة بعد ذلك لاختيار الشخص المناسب. وكانوا يعتقدون أن فرصة الإطاحة بهذا الشخص الضعيف ستكون سهلة وسريعة!

بهذا التكتيك - كما يقول د. جامع - كانوا يعملون ويخططون. وكان «على صبرى» يرى أن الفترة الانتقالية القصيرة التى سيتولاها السادات ستكشفه. وبعد ذلك

سيكون المناخ معدا لـ «على صبرى» لكى يظهر فى الصورة ويستقبله الجيش رئيسا للجمهورية بدلا من السادات بعد أن كان رافضا له.!

والسادات من ناحيته.. ابتكر تحريفات عجيبة تجعله أمام الجميع فى صورة الرجل الخصيف، الذى وجد نفسه فجأة رئيسا للجمهورية. وبدهشتنا ما يذكره د.جامع من أن السادات اشترط أن تكون القيادة جماعية. وأكد للمجموعة المتربصة به أنه لن يصدر قرارا بمفرده، وأن عليهم أن يصدروا القرارات.. لينفذها هو!

ورغم أن السادات لم يكن يحب حسين الشافعى. وكان يعلم أنه ينافسه لكى يكون رئيسا. فإنه وافق على أن يجعله نائبا للرئيس. وفى أقرب فرصة تخلص منه وانفرد بالسلطة.

ووصلت محاولات السادات لترويض المحيطين به إلى مدى مذهل، ويذكر د.جامع رواية تشير إلى أن شعراوى جمعة وزير الداخلية رفض أن يمنح تأشيرة لسفر والدى أحد أصدقاء د.جامع للحج، فلما اشتكى للسادات لم يتدخل على الإطلاق، وقال له بهدوء: إنك تعرف دماغ شعراوى جمعة وعناده!!

ويقول د.جامع- فى صراحة- إن السادات لم يكن يستطيع فى تلك الفترة أن يتدخل. فقد كان يريد أن يعطى لنفسه مزيدا من الوقت. وكان يحسب حساب الجيش الذى كان فى قبضة الفريق محمد فوزى. وكان يخشى من التنظيم الطليعى الذى كان مع شعراوى جمعة وسامى شرف. وكان معهما أيضا الأمن المركزى.

صراع مكشوف

ظل السادات محافظا على هدوئه ومنتظرا فرصته للإطاحة بمنافسيه. ويتحدث د. جامع عن محاولة جرت لاغتيال السادات ومؤيديه أثناء زيارته للنوبارية، وكان د.

جامع رقم ٧ فى قائمة الاحتمالات التى لم تتم لاكتشافها مبكرا، وظل السادات يذكر تلك الواقعة طويلا وينادى د. جامع وهو يضحك.

يا نمرة ٧ !!

وسارت الأحداث فى طريقها المعروف وأصبح الصراع سافرا، وفى أحد اجتماعات الاتحاد الاشتراكى تعرض السادات لانتقادات حادة، كما هاجمه على صبرى، وفى خطابه بمناسبة عيد العمال فوجئ بمن يرفع صور عبد الناصر ويهتف له، ولم يكن هناك مفر من إقالة على صبرى.

وخدمت الظروف أنور السادات بقيام أحد ضباط مباحث أمن الدولة ويدعى طه زكى بتسليمه التسجيلات التى كان منافسوه يتحدثون فيها عن خططهم للإطاحة به، وتطورت الأحداث بعد ذلك بما نعرفه من إقالة شعراوى جمعة وتعيين ممدوح سالم وزيرا للداخلية، ثم تقديم الاستقالات الجماعية التى قبلها السادات على الفور، وأخيرا دور الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى فى تأمين قصر الرئاسة وإلقاء القبض على مجموعة مراكز القوى، وهو التعبير الذى أطلقه هيكل على منافسى السادات على السلطة.

ولم ينس السادات الذين وقفوا معه فى هذه الأزمة الخطيرة، وكان من هؤلاء د. عزيز صدقى، وكان وقتها وزيرا للصناعة. فقد ذهب د. صدقى إلى بيت السادات يوم ١٤ مايو، وأصدر تعليماته إلى نقابات العمال بالخروج فى مظاهرة حاشدة لتأييد الرئيس، وبعد انتهاء الأزمة عينه السادات رئيسا للوزراء، وكلفه بتولى ملف الاتصالات مع الاتحاد السوفيتى.

وقام السادات أيضا بتعيين محمد عثمان

إسماعيل محافظا لأسيوط عرفانا بدوره فى مساندته ضد مجموعة مراكز القوى.

لكن التحول المهم الذى يذكره د. جامع بعد القضاء على مراكز القوى يتمثل فى موافقة السادات على عودة رموز الإخوان "ربة من الخارج". ويبدو أنه أراد بذلك خلق نوع من التوازن مع التيار الشيوعى والناصرى، وكان وقتها فى ذروة القوة والانتشار.

ولعب د. جامع دورا مهما فى الاتصال بقيادات الإخوان وإعادتها إلى مصر، وكان من الذين التقى بهم د. يوسف القرضاوى ود. سالم نجم الذى أعاده السادات إلى طب الأزهر، وأعاد إليه كذلك الجنسية المصرية التى سحبت منه فى عهد عبد الناصر.

وأفرج السادات عن بعض قيادات الإخوان مثل عبد القادر حلمى وصالح أبو رقيق، ثم كانت الخطوة الأكثر أهمية بتكليف السادات لـ محمد عثمان إسماعيل بتشكيل جماعات إسلامية فى الجامعات ورعايتها والإنفاق عليها من الأموال المخصصة لرعاية الشباب، وكان الهدف هو ضرب الشيوعيين والناصريين معا، ولكن اللعبة كانت خطيرة للغاية حيث سرعان ما انقلب السحر على الساحر.. الداهية!

محمود عبد الشكور

● فى أول الثورة السادات يستمع الى شرح الدكتور فهمى سيدهم على جهاز طبى والدكتور جامع يستمع

● السادات يستقبل دكتور جامع فى منزله